من يرث هنري فورد؟

ايستطيع ابنهُ ادزل ان يدير اعمالهُ بعدهُ ؟

١

اكبر الشركات المالية في اميركا شركة التلفون والتلغراف الاميركية ، وشركة الفولاذ (الصلب) ،وشركة جنرال موتورز للاتومبيلات، وشركة ستاندرد اويل،وشركة اتوموبيلات فورد . اصحاب الشأن في الشركات الاربع الاولى الوف من حاملي اسهمها وما من رجل في واحدة منها يملك من الاسهم ما يمكنهُ من ادارتها حسب مشتهاهُ . على ان اصحاب الشركة الخامسة اي شركة فورد لا يزيدون على ثلاثة هم هنري فورد وزوجتهُ وابنهُ

وزد على ذلك ان مديري الشركات الاربع الاولى ينتخبون انتخاباً وينظر في انتخابهم الى مقدرتهم وكفاءتهم في ادارة شؤون الشركة وتسييرها في سبل التقدم والنجاح . فروكفلر اسس شركة ستاندرد اويل ولكنهُ اعتزل العمل منذ سنين كثيرة وابنهُ لم يعنَ بشؤونها بل لم يعيَّن في مجلس ادارتها . واكثر هؤلاء المديرين لا يملك الواحد منهم من اسهم الشركة الاَّ نصيباً قليلاً فادارتهم لها تبنى على ما عرفوا بالاختبار انهُ مفيد ولازم لتقدمها

ومستقبل كل بلاد مرتبط كل الارتباط بمستقبل شركاتها الكبيرة الفنية . لذلك ترى الناس يسألون عما يكون مصير شركة فورد بعدهُ .يقولون ان هنري فورد فابغة وما من احد يستطيع ان يحلَّ محلهُ وعليهِ فمملكتهُ الصناعية العظيمة قد تندكّ الى الحضيض بعد وفاتهِ . اما الرجل الذي متوكل اليهِ شؤون الشركة بعد وفاة منشئها فهو ادزل ابن هنري فورد ، وهو الآن في الثالثة والثلاثين من عمرهِ و يملك نصف معامل ابيهِ ولا بدَّ ان يجيءَ يوم يصير المالك الوحيد لها كلها فيصبح حينئذٍ اغنى رجل في العالم ، بل اغنى رجل ذُكر في التاريخ

وقد اتفق الكتاب والباحثون على ان هنري فورد افاد الناس بثروتهِ ولذلك لا تجد احداً يحسدهُ عليها ، وانما ترى بعض المتشائمين يقولون ان خطراً اجتماعياً كبيراً ينشأ عن تجمع ثروة عظيمة كهذه في يد رجل واحد لانهُ قد يسيءُ استعمالها . ولا نعلم وجهاً لهذا التشاؤم لانهُ اذا أُسيءَ تدبير ثروة عظيمة كثروة فورد اضمحلت وتلاشت وعاد صاحبها

لا قوة في يدهِ ولا مال . على ان المسألة المهمة هي « هل يستطيع ادزل فورد ان يدير اعمال ابيهِ ؟ »

٢

ان ابن فورد ولي عهد مملكة صناعية لا وارث ثروة كبيرة وذلك لانهُ هو وابوهُ وامهُ ينفقون كلما يكسبونهُ من المال في توسيع معاملهم وزيادة فائدتها . ولشركتهم حساب نقدي يعادل ٦٠ مليون جنيه ولكن كل مليم من هذا المبلغ يخص الشركة اي يُنفق فيها وهم لا يملكونهُ . واما ثروتهم الخاصة فلا تزيد على مليوني جنيه وهذا مبلغ قليل جدًّا اذا قيس بقيمة معاملهم فانها تبلغ مائتي مليون جنيه او اكثر

وزد على ذلك ان ادزل فورد سيرث ادارة عمل لا كالاعمال في تنوع فروعهِ واتساعهِ . اذا قابلناهُ بممتلكات هينو ستنس المتري الالماني الشهير وجدنا البون شاسعًا فقد قيل ان ستنس اشترى نحو الف شركة كبيرة وصغيرة تتباين من شركات مناجم وبنوك الى شركات فنادق وجرائد ولكنهُ اشتراها كلها لما كانت حالة المانيا المالية مرتبكة ولا قيمة حقيقية للنقود فيها ومن غير ان يكون بين هذه الشركات صلة ما ومات قبلما صار للنقود قيمة فترك لاولادهِ مشهد تشتتها واضمحلالها . على ان شركة فورد تختلف عن ذلك اختلافًا بيّنًا . انَّ اصحابها لا يشترون شركة اذا لم يكونوا في حاجة اليها وحينئذٍ يشترون الشركة كلها فلا ينازعهم فيها منازع ولا يشاركهم مشارك . فشركة اوتوموبيلات فورد تضمُّ شركات سفن بخارية وسكك حديد ومناجم فحم وحديد ومعامل زجاج وخزف وفحم وسراج لقطع الخشب وغير ذلك مما يُحتاج اليهِ في عمل الاتوموبيلات . وكلٌّ من هذه الشركات المختلفة جزءٌ من كلٍّ فهي مثل الحجارة التي يُبنى بها القصر الفخم كل حجر منها لازم لتشييد البناء . ولو شاء فورد ان يشتري كل ممتلكات ستنس منذ ست سنوات لكان ذلك من اسهل الامور عليهِ بل لاشتراها كلها من حساب شركتهِ النقدي الجاري من غير ان يؤثر ذلك في احوالها المالية . ويصعب جدًّا ان يتصور القارئ اتساع اعمال فورد وامتداد فروعها في كل انحاء المعمور بل يكفي في بيان ذلك ان نشير الى عدد المشتغلين فيها اذ بلغوا ستمائة الف عامل ثلثهم يشتغل في المعامل المختلفة وثلثاهم في الوكالات التي تبيع اتوموبيلات فورد ومحاريثهُ واجزاءها . هذا هو العمل الذي سيرثهُ ادزل فورد فهل يستطيع ان يضطلع باعبائهِ

٣

على ان اصعب الامور في ادارة اعمال فورد ليس انشاءها ولا تشعب فروعها بل طريقة العمل التي جرى عليها فورد نفسهُ منذ انشائها لانها خاصة بهِ وهو رجل لا يرضى بالمألوف لانهُ مألوف بل لديه من الشجاعة الادبية ما يدفعهُ الى مخالفة المألوف اذا وجد ما يفضلهُ . كان الرأي القديم في الدوائر الصناعية ان اجور العمال يجب ان تكون قليلة واسعار البضائع غالية وساعات العمل كثيرة لكي يجني اعظم ربح من الشركات الصناعية . فجاء هنري فورد وضرب بهذه الآراء عرض الحائط . فرفع اجور عمالهِ وخفض اسعار مصنوعاتهِ وقلل ساعات العمل وايامهُ . فلم يمضِ في يوم من ايامهِ باغتصاب في معاملهِ ولم تستطع نقابات العمال ان تتطلع الى اجور تداني اقلّ الاجور التي يدفعها. ادار اعمالهُ الواسعة على هذه المبادئ فنجحت نجاحاً كبيراً مكنهُ من توسيعها والامعان في تخفيض اثمان مصنوعاته برفع اجور عمالهِ وتقليل ساعات عملهم . فكلُّ جزء من اجزاء شركة فورد عليهِ اثر من آثار شخصيتهِ ومن المتعذّر ان تجد شخصاً آخر يستطيع ان يحلّ محلهُ ، فينسج على منوالهِ في آرائهِ وافكارهِ واساليبهِ في العمل والادارة

لكنَّ فورد رجل يتم النظر في كل عمل يعملهُ فيفتلهُ بحثاً وامتحاناً قبل الاقدام على تجربتهِ وقد جرى على الاسلوب نفسهِ في اعداد ابنهِ للعمل الذي امامهُ

فقد مضى على ابنهِ سبع سنوات مثريعاً في منصب ادارة الشركة . وليس ابوهُ سوى مستشار امين لها ولمديريها ولكنهُ ليس مسؤولاً عن ادارتها . اما ابنهُ فقد تقلد رآسة الشركة سنة ١٩١٩ بعد ما عين سكرتيراً لها سنة ١٩١٥ وهو الآن امين صندوقها ايضاً ويلمّ كل الالمام بجميع شؤون ادارتها . وقد جرى ابوهُ في تربيتهِ وتعليمهِ على القاعدة التي يجري عليها غالباً في تعليم غيرهِ من المديرين وهي ان يترك الانسان لنفسهِ يخاطر بها في معمعة الحياة والعمل لا يمدُّ اليهِ يد المساعدة الاَّ حين يراهُ مشرفاً على الخطر . وقد قال ادزل لاحد مكاتبي المجلات الاميركية « يظهر ان ابي يعرف مصير الامور قبل مصيرها، ولكنهُ لا ينوهُ بكلمة تأنيب اذا اخطأ احد رجالهِ في عملٍ ما آملاً ان يفطن الى خطاهُ فيصلحهُ ولكن اذا رآهُ مسترسلاً في خطاهِ تدخل قبلما يحدث ضرراً فادحاً للعمل وهذا ما فعلهُ بي وليتني ارتكب كل هفواتي الكبيرة في حياتهِ »

هكذا يقبل ادزل فورد على عملهِ الصعب المتشعب ، اقبال الرجل الوضيع ، ولكنها ضعة رجل متهذب لا ضعة رجل يتظاهر بالضعة ليخفي اهمالهُ وضمنهُ

وُلد ادزل فورد في مهد الدقة حين كانت اجرة ابيهِ عشرين جنيهاً في الشهر وهو الآن في ذروة الغنى وسعة العيش . ولد سنة ١٨٩٣ لما كان ابوهُ مستخدماً في شركة اديسن يشتغل فيها نهاراً و يكبُّ في الليل على اول اتومو بيل صنعهُ ينفق على اقتنائهِ من اجرتهِ . وعليهِ فقد كان من الضروري ان تدبر زوجتهُ معيشة بيتها بقليل من المال فنشأ ابنهُ ادزل حيث تعلم قيمة المال فكان لذلك اثر كبير في حياتهِ . تراهُ الآن وفي حوزتهِ ملايين الريالات لا يشتري الاَّ ما يراهُ مفيداً او لازماً، بعيداً كل البعد عن المظاهر الخارجية . اراد ان يبني بيتاً في ولاية ماين ليصطاف فيهِ مع زوجتهِ واولادهِ فبنى بيتاً صغيراً يكفي لحاجتهِ مع انهُ لو شاء لابتنى قصراً فخماً يكون محجة للزائرين . واراد ان يشتري لهذا البيت صوراً من تصوير المصورين المشهورين فاشترى ما يلائم اثاث بيتهِ غير مهتم ان يجعل بيتهُ متحفاً يضمُّ كل صورة نفيسة ولا غالى في الاثمان التي دفعها . واراد ان يتعلم ركوب الخيل حبًّا بالنزهة والرياضة فلم يشترِ اصطبلاً يجمع الجياد المطهمة التي ترتفع اثمان بعضها الى آلاف الجنيهات بل اشترى فرسين من اصل ارلندي . وزوجتهُ مثلهُ لا تعنى كثيراً بالجواهر ولذلك لا تنفق مالها في شرائها لحفظها او للتفاخر بها . هذه اخلاقهُ وهي كما ترى اخلاق رجل مهذَّب بعيد عن الدعوى محب للعمل . يرى الثروة الكبيرة التي في يدهِ امانة يجب تأديتها باستعمالها حتى ينجم عنها اكثر ما يستطاع من النفع

ولكن ما هي آراؤهُ فيما يتعلق بالصناعة والعمال ، لان آراءهُ هذه سيكون المعوَّل عليها يوماً ما في ادارة مملكتهِ الصناعية العظيمة

سألهُ احد الكتاب الاميركيين في حديث جرى بينهما «الا تخاف ان يتسع عملكم الى درجة تتعذر معها ادارتهُ وان تعظم ثروتكم حتى تصير عبئاً عليكم» فقال :

لا ادري كيف يمكن ان يتسع العمل حتى تتعذر ادارتهُ وذلك لاننا لا نحصر مسؤولية الادارة في شخص واحد بل لكل فرع ولكل قسم من كل فرع رجل مسؤول عن ادارتهِ وقد جرى والدي منذ انشاء شركتنا على ان لا يبقي رجلاً في منصب واحد كل حياتهِ بل ينقل الرجال من مناصبهم الى غيرها فيتعلم كل منهم عمل الآخرين وهكذا نجد كثيرين من رجالنا على استعداد لقيام باعباء الاعمال الكبيرة لانهم خبروا العمل في مختلف اقسامهِ . وهذا التبديل يساعد النابغين منهم على استنباط الآراء

الجديدة لانجاح العمل لانهُ اذا بقي رجل يدير قسماً من اقسام العمل تعوّد ما فيهِ من الامور المألوفة وعاد لا يرى ما يجب استحداثهُ فيهِ لكي يتقدم

وقد جرينا ايضاً على ان نحسب الاتقان غاية كلما اقتربنا منها بعدت عنا ، فنتقن آلاتنا واعمالنا الى حدّ بعيد ونبقي رجالنا على قدم الاستعداد لاستنباط كل ما يزيد اتقان العمل وقد تعلمنا من ذلك ان الرجل الذي لا يهاب القيام باعباء مسؤولية جديدة يتعلم كثيراً و يتقدم كثيراً . واننا نساعد عمالنا في ذلك فلا نعاقبهم على اول هفوة يرتكبونها ، فنرجي فيهم حبّ القيام بالاعمال الكبيرة ، وعليهِ نرى اننا لا ننتخب الرجال انتخاباً لترقيهم بل العمل نفسهُ ينتخبهم لانهم دائماً فوق غربال سداهُ ولحمتهُ العمل الذي يوكل اليهم وكيف يقومون بهِ . فالرجل الذي يقضي وقتهُ مفاخراً بمقدرتهِ في كذا او في كذا لا يجد متسعاً من الوقت لتعلم العمل الجديد الذي بين يديهِ فينشل . وهكذا نجد رجالاً يستطيعون ان يقوموا باي عمل متى وكل اليهم تسيير الادارة على اقصى ما تقتضيهِ من الضبط والتقدم مهما اتسعت معاملنا وتعددت فروع ادارتها

اما ان تكون الثروة الكبيرة عبئاً على صاحبها فقول لا ادرك معناهُ . بل ادرك ان المال مهما كان قليلاً يصبح عبئاً على صاحبهِ ان هو شاء ذلك . وعندي ان الذين يتذمرون من كثرة اموالهم لا عمل لهم اولا تسلية لهم الاّ هذا التذمر . اما نحن فاننا لا نجد مالاً يزيد على ما نحتاج اليهِ . اننا لا نزال نشتري جانباً كبيراً من المواد الاولية التي نستعملها في صناعة الاتومبيلات كالنحاس والمطاط ونود كثيراً ان يتوفر لدينا مبلغ من المال فنكنا من شراء مناجم النحاس ومعامل المطاط حتى لا يؤثر في صناعتنا ما قد يصيبها من تقلبات الاسعار . وقد سبق لنا فاشترينا ما يكفينا من حراج الخشب ومناجم الحديد والفحم وغيرها من المواد الاولية جرياً على السياسة نفسها . ورأيي ان كل ما نكسبهُ في صناعة ما يجب ان يعاد اليها . ولكن يجب ان تكون من اعادتهِ فائدة للعمل اي تحسين المصنوعات التي نصنع او اتقان الآلات التي نصنعها . ونحن نجري على خطة ركناها رخص في اسعار مصنوعاتنا وارتفاع في اجور عمالنا . هذا هو مثلنا الاعلى وفي سبيل تحقيقهِ لا نجد المال عبئاً لاننا لا نضنُّ بهِ . واذا كان العمل لا يحتاج الى المال الذي يكسب منهُ لوسائل اتقانهِ اكثر من ان تحصى . لماذا لا ينفق في مكافحة الامراض الفتاكة ومعرفة اسبابها وطرق الوقاية منها ؟ اني لا ادري كيف يكون المال عبئاً على صاحبهِ

ويسألهُ المكاتب : هل انت على اتصال تام بفروع صناعتكم المترامية الاطراف ؟

فقال نعم : لقد رافقتها في كل ادوار نموها . اني لا اعرف القسم الصناعي منها كما اعرف القسم التجاري على اني اقدر ان ايدي حكماً في الرسوم الهندسية المختلفة ولكن حكمي لا يتعدى مجرد الحكم واما والدي فيستطيع ان ينظر في الرسوم الهندسية و يدخل فيها ما يزيدها اتقاناً اي انهُ مستنبط بارع من هذا القبيل

كذلك لم اهتم بان اضع لنفسي فلسفة صناعية او تجارية ولكني لا اعرف كيف تختلف فلسفتي عن فلسفة ابي لو اهتممت بوضعها . ففي الامور الاساسية لا سبيل الى الاختلاف ، يجب ان ندفع لعمالنا اجوراً عالية ونخفض اسعار مصنوعاتنا الى ادنى حدّ ممكن . ولا اعلم الى اي حدّ سترتفع اجور عمالنا ، ولكن ذلك يتوقف على قيمة النقود . قد لا نتمكن من مضاعفة اجور عمالنا دفعة واحدة كما فعلنا سنة ١٩١٤ ولا ذلك مستحسن لان اصحاب الدكاكين الذين يبيعون عمالنا يرفعون اسعارهم حينئذٍ وعليهِ فكل ارتفاع في اجور عمالنا سيكون تدريجياً ويتناول كل عامل بمفردهِ حسب استحقاقهِ ولا يتناول مجموع العمال

ان الاساس الذي يقوم عليهِ عملنا هو صنع نوع واحد من المصنوعات واتقان صنعهِ الى اقصى حدّ ممكن وهذا الاساس يفرض علينا وجوب الاهتمام بترقية اساليب صناعتنا من كل وجوهها

ولكن اذا فرضنا ان رجلاً غريباً مرَّ في معامل فورد واجتمع برؤسائها اكان يختار ادزل فورد لرآستها وادارتها ؟

قال المكاتب : وجهت هذا السؤال الى احد الموظفين القدماء الذين رافقوا الشركة منذ نشأتها الاولى فكان جوابهُ « لا شك في انهُ يختار ادزل فورد لانهُ لا يفوقهُ احد في معرفة احوال الشركة وشؤون ادارتها سوى ابيهِ » وزاد على ذلك قولهُ « ان الشركة كما هي الآن نتيجة عمل هنري فورد وابنهِ . فالاثنان يتعاونان في كل عمل و يتناقشان في كل امر مهم وما من احد من موظفي الشركة يعلم أهنري فورد هو الذي قرّر ما يجرون عليهِ او ابنهُ . فالامور المالية كلها يديرها ادزل ولهُ شأن كبير في ادارة شؤون المشتريات والمواد الاولية وتقصير دورة العمل . ويظن الناس انهُ حديث العهد بادارة الاعمال الكبيرة مع انهُ بدأ يتمرن عليها منذ ١٢ سنة وقد تمرَّس بها طويلاً »

ثم سأل المكاتب ادزل فورد عن المستقبل فقال «لا اعلم فان لي ثلاثة اولاد وعسى ان ينشأ احدهم قادراً على ادارة هذا العمل فان لم ينشأ منهم من يديرهُ سهل وجود مدير لهُ ما زال العمل مفيداً واذا انقضت فائدتهُ فحبذا البحث عن وسائل ترقيتهِ وادارتهِ »